محمود علام

فى المدرسة كنت عام ١٩٣٥ أصغر تلميذ اشتركت فى مظاهرة هتفنا «عاش الوفد مع النحاس والحزب الدستورى عدو الناس.
وكان الناظر ضد الوفد فأغلق المدرسة وصعدنا إلى السطح نردد ذات الهتاف وجاء الفراش يمسكنا واحدا واحدا فيضربنا الناظر بعصا غليظة.
محمود علام
«فى أوراق أعدها بناء على طلبى»

الأب كان رئيس عمال فى مصلحة الطرق والكبارى، «الولد» محمود استمر فى الدراسة حتى سنة سادسة لكنه لم يكمل فقد تشاجر مع تلميذ آخر وضربه بعصا على رأسه وانتهز الناظر الفرصة وطرده، فأخذ قريبا له ليعمل فى مصنع كاسترو للنسيج فى شبرا الخيمة، كان صغيرا ويعمل فى «البكر» أحد العمال شتمه فضربه بالقبقاب على رأسه.. وفصل من العمل وعاد إلى قريته «زنارة مركز تلا – منوفية» وبعد عام من البطالة سافر محمود إلى المحلة ليشتغل بغزل الكتان ثم عامل نسيج فى صالة ٣.. كانت المحلة ومصر كلها تغلى فى هذا الوقت (١٩٤٦) وحضر إلى صالة ٣ عامل من القاهرة هو عبدالغفار سلام يطلب التبرع لتمويل رحلة سفر العامل محمد يوسف المدرك إلى باريس لحضور مؤتمر اتحاد النقابات العالمى، ومع التبرع توقيعات من العمال لتفويض المدرك بتمثيل عمال مصر فى المؤتمر ويقول محمود: وقعت تبرع ووقعت رغم أننى كنت أصغر واحد، ثم كان الإضراب الكبير الشهير فى المحلة، واعتصمنا فى صالات المصنع، وصدرت التعليمات لرؤساء الصالات بتشغيل الماكينات وكان رئيس صالة ٣ واسمه محمد على من بركة السبع يمر لتشغيل المكن وأنا وراه أوقف المكن، ولم يمنعنى بل على العكس كان مبسوطا وفى اليوم الثالث، كنا لا نعرف أى شىء عما يجرى خارج الصالة والأمن يحاصر المصنع ويمنع أى

واحد من الخروج ولكننى لم أزل أصغر عامل طلبوا منى أن أنط من الشباك لأعرف ماذا يجرى فى الخارج وخرجت محتميا بصغر سنى ووجدت مظاهرات حاشدة فمشيت فيها وهتفت معها بسقوط الاحتلال وسقوط إدارة المصنع وفجأة أطلق البوليس الرصاص وسقط بجوارى أحد المتظاهرين، استمر العمال ٢٥ يوما وبدأ العمال فى العودة لكن تعليمات الإدارة هى أن يقف رئيس كل صالة على بابها ليمنع كل من شارك فى زعامة الإضراب، ورئيس صالتنا سمح لى بالدخول، واشتغلت حتى وباء الكوليرا، وبدأ بعض العمال فى الوفاة بسبب الإصابة ودخلت لأستلم العمل من زميلى لقيته مات، فرجعت، وبقيت فى البلد حتى عام ٤٧ ثم ذهبت إلى شبرا الخيمة لأعمل فى مصنع سباهى رقم ٢ وبعد ثمانية أشهر من العمل بدأنا إضرابا وكان عوض الباز أحد قادة الإضراب وفصل وفصل جميع المضربين وأنا منهم.

وأرسل البعض إلى المعتقل، لكننى شاركت فى المظاهرات السياسية ونطوف فى شبرا الخيمة وروض الفرج هاتفين «عبدالهادى كلب الوادى» وضد الاحتلال، فصدر قرار من أصحاب مصانع المنطقة بمنعى من العمل فى أى مصنع بشبرا الخيمة أو روض الفرج فاشتغلت بعد ذلك فى مصنع الشرق بامبابة وكنا أربعة شيوعيين فى هذا المصنع ونظمنا إضراب واحتلال المصنع ثلاثة أيام مطالبين بإعادة ٢٩ عاملا فصلوا بسبب المشاركة فى التحضير للإضراب، قسمنا العمال ورديتين وردية تحتل المصنع والأخرى تلف فى القاهرة لتوزيع منشورات بمطالبنا، ونطالب الجماهير بالتضامن معنا حتى لا نموت جوعا، الأمر الذى دفع فؤاد سراج الدين وكان وزير الداخلية فى حكومة الوفد ١٩٥٠ بأن يصرح بأن إضراب مصنع الشرق هو بروفة شيوعية للاستيلاء على السلطة، كنت فى هذه الأثناء كادرا شيوعيا فى تنظيم طليعة العمال، فقد تم تجنيدى فى ١٩٤٨ وحضرت مدرسة كادر لمدة ١٥ يوما وكان المحاضرون أبوسيف يوسف وحلمى يسن، وكنت مسئولا عن العمل على أجهزة الطباعة الحزبية ومسئولى كان أديب ديمترى، وفى أثناء حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ نظمنا مظاهرة لعمال مصنع الشرق تهتف يسقط الوالد والمولود «كان فاروق يحتفل بمولد ابنه أحد فؤاد»، وفى ٢٥ مارس ١٩٥٤ تلقيت تكليفا حزبيا بعمل مظاهرة للدفاع عن الحريات وأن نبدأ من شبرا البلد وكانت الترتيب أن نحضر سيارات من مجلس الثورة لنقل العمال إلى قلب العاصمة كى

يهتفوا «تسقط الحرية» «تسقط الديمقراطية»، وتجمع عدد من المأجورين وهتفوا «يسقط النحاس» «تسقط زينب الوكيل» «تسقط الديمقراطية» «لا حرية بعد اليوم» فأنا غامرت ودخلت المظاهرة وهتفت «عاشت الحرية» فأنزلونى ومنعونى من الهتاف وعندما وصلنا إلى نقابة المحامين «هتفوا يسقط المحامين» وحاولت جهدى دون جدوى، ونمضى مع عامل مناضل فخلال عمله فى امبابة فى مصنع الشرق، درس فى مدرسة ليلية وحصل على شهادة الابتدائية وتقدم للعمل كمساريا فى السكة الحديد وعين فى أواخر عام ١٩٥٤، وبدأ يمارس هوايته فى تنظيم وقيادة الإضرابات، وفيما يجرى تنظيم الإضراب وقع احتكاك بين العمال ومأمور قسم الشرطة واتخذها النبوى إسماعيل وكان ضابط مباحث السكة الحديد حجة ليقبض على ٣٠٠ كمسارى وعلى كل من يرتدى زى السكة الحديد وادعى النبوى أن العمال اتفقوا على منع الرئيس من السفر بقطاره إلى بورسعيد وحكم على أربعة عمال بالسجن ثم اتضحت كذبة النبوى إسماعيل وبقى العمال فى السجن ونمضى لنطالع أوراق محمود علام «فى يناير ١٩٥٩ قبض على عدد كبير جدا من الرفاق وكان فى ذلك الحين عضوا فى احتياطى اللجنة المركزية وتحملت عبئا كبيرا فى إعادة تجميع الحزب وقمت بتصنيع روينو وطبعنا عديدا من المنشورات ونجحت فى أن أستفيد من عملى فى السكة الحديد وتنقلى يوميا من مكان لآخر لتوزيع هذه المنشورات فى كل مدينة أمر بها وكنا مجموعة صغيرة منها عبدالمحسن شاشة ورضا إسكندر.. وظللنا ننشط حتى قبض علينا فى عام ١٩٦١ فيما سمى آنذاك قضية إحياء الحزب الشيوعى، والحكاية أننى كنت فى قطار الصعيد وفى أسيوط نزلت ومعى كتاب المادية والمثالية لإسماعيل المهروس لأوصله إلى الرفيق رضا اسكندر ولكن أخبرتنى زوجته أنه قبض عليه فى نفس الليلة، عدت إلى استراحة المحطة حيث قبض على وأرسلت إلى مديرية أمن أسيوط، ووضعت فى زنزانة غاية فى السوء وكنت أخشى أن يكون مصيرى مثل مصير الرفيق محمد عثمان عندما قبضوا عليه سرا ثم قتلوه، وظللت طوال الوقت أردد بيت شعر قيل عن الرفيق فهد «العراق» واصفا إياه وهو على حبل المشنقة.

حسبوه سيساوم عندما يدنون المصير

وجدوا حرا يقاوم وهو فى النزع الأخير

وكان لهذا الشعر مفعل السحر، وفى السجن زارنى أبى وقال إن رجال المباحث أبلغوه أننى إذا كتبت وقلت إننى ضد الشيوعية سيفرجن عنى، فقلت لا نكرر هذا الطلب وإلا لأنذورنى مرة أخرى فقال خلاص خليك على مبدأك، وبقيت على مبدئى، وعندما أفرج عنى وتم حل الحزب حاولت أنا والزملاء حسن الساكت وفايز علام وأحمد سالم إعادة تأسيس الحزب.. ثم جاء منبر اليسار وانضممت إليه، ولم أزل أناضل فى صفوفه متمسكا بالحلم الجميل الذى عشت من أجله طوال حياتى، وسأبقى حتى آخر يوم من حياتى متمسكا به.

عزيزى محمود علام.. شكرا فقد قدمت لنا نموذجا جميلا وحميما لمناضل بسيط وهب كل حياته من أجل المبدأ.